

الإسلام.. دين تسامح ورحمة



قال تعالى: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) (التوبة/ 28). يُعتبر الإسلامُ نقيضَ العنف والقمع لأنَّه دين التسامح والرحمة والعفو، وهو الدِّين الذي ينبذ كافة أشكال العنف والإكراه والقسوة في كافة مجالات الحياة، وعلى ذلك سيرة النبيِّ الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمَّة الأطهار (عليهم السلام) ومن قبلهم كافة الأنبياء والرُّسُل الذين دعوا الناس إلى الله مملوءة بالرحمة والعفو والتسامح وكلِّ القيم الإنسانية. العنف في الاصطلاح هو استخدام القوة والشدة والقسوة استخداماً غير مشروعٍ، ومن آثاره إلحاق الأذى بالآخرين جسدياً أو نفسياً، بينما الإسلام أصله من السلام أي الصفاء من كلِّ الأمراض الظاهرية والباطنية، ولذلك سُمِّيت الجنة دار السلام، قال تعالى: (لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ) (الأنعام/ 127)، وقال تعالى: (وَأَنْ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ) (يونس/ 25). ومن أَرَجع أصل الإسلام إلى السلم في مقابل الحرب أو التسليم وهو أداء الطاعة سالمة من الأدغال فمردُّها إلى معنى واحد. وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) (البقرة/ 208)، حيث دلت هذه الآية على أنَّ عدم الدخول في السلم اتباعٌ لخطوات

الإسلام نبذ العنف والإكراه في دعوة الآخرين واعتمد أسلوب مخاطبة العقول بالحجج والبراهين ومخاطبة القلوب بالآيات والمواعظ، قال سبحانه وتعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (النحل/ 125). وفي الحديث النبوي: «إنَّ الرفيقَ يحبُّ الرفقَ ويرضاه ويعين عليه ما لا يعين على العنف». ويرسم الإسلام للنبي آلية استقطاب الناس وجذبهم واستيعابهم القائمة على مبدأ الرحمة بهم والعفو عنهم والدُّعاء والاستغفار لمذنبهم، قال تعالى: (فَإِذَا رَجَعْتَ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ فَادْعُهُمْ إِلَى صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ الْأَمْرُ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنََّّهُ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) (آل عمران/ 159).

ثمَّ إنَّ الدعوة إلى الله لا بدَّ أن تتلقَّى ردود فعل من الناس سواء صدرت منهم عن علم أو عن جهل، فأما ما صدر عن علم فمآله إلى الحوار، قال تعالى: (وَإِن زُنا أَوْ إِيْسَاكُمُ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) (سبأ/ 24)، وأما ما صدر عن جهل فقد اكتفى الإسلام بالردِّ الجميل عليهم، قال تعالى: (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا) (الفرقان/ 63). وأما الكلام اللامسؤول واللغو والهزل فيقابله بالإعراض الإيجابي الذي لا يستفز الآخر، قال تعالى: (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبِّدْغِي الْجَاهِلِينَ) (القصص/ 55). ويطرح الإسلام مجموعة من القيم ومكارم الأخلاق في إطار التعامل مع الآخرين، قال تعالى: (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (آل عمران/ 134)، فالمسلم يتحسُّ آلام الآخرين في السراء والضراء، وإذا أُغضب كظم غيظه ولم يخرج غضبه عن حدود الشرع، ويعفو عمَّن أساء إليه، بل أكثر من ذلك فإنَّ نرى في الآية تشجيعاً على الإحسان لمن أساء إليك. وفي مقامٍ آخر يبيِّن القرآن الكريم ضرورة التحلِّي بهذه المناقب والفضائل الأخلاقية، ويربيه على تجاوز سيِّئات الآخرين وعدم التمسك حتى بما هو حقٌّ له حيث يقول تعالى: (وَإِذَا جَاءَ سَيِّئَةٌ مِنْ سَيِّئَاتِ الْإِنْسَانِ لِيَحْمِلْ غَضَبَ اللَّهِ فَإِنْ دَخَلَ عَلَيْكُمْ ظُلْمٌ وَظُلْمٌ مِنْ غَيْرِهِ فَاصْطَلِحْ وَأَصْلَحْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) (الشورى/ 40). ويبيِّن القرآن الكريم محورية هذه الفضائل ومنشأها في النفس ببيان أنَّ المهمة الملقاة على عاتق النبيِّ الأكرم هي مهمَّة توعية وتذكير وليست مهمَّة تسلُّط وسيطرة، فلا إكراه في

الدِّينِ وَلَا عُنْفَ فِي الدَّعْوَةِ، يَقُولُ تَعَالَى: (فَذَكَرُوهُ إِزْمَامًا أُنزِلَتْ مُذَكَّرًا * لَسْتِ
عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ) (الغاشية / 21-22). وفي السنَّة الشريفة بعض الأحاديث التي من المفيد
بيانها: عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «إنَّ الرفق لم يوضع على شيء إلا زانه ولا نزع عن شيء
إلا شانه». وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم): «لو كان الرفق خُلِقًا يُرى ما كان ممَّا خلق الله شيء
أحسن منه». وعن الإمام الصادق (عليه السلام): «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنَالَ مَا عِنْدَ النَّاسِ فَعَلِيهِ بِالرَّفْقِ، وَمَنْ
كَانَ رَفِيقًا فِي أَمْرِهِ نَالَ مَا يَرِيدُ مِنَ النَّاسِ».